باحثون

كتاب متخصص يصدر عن
تجمع الباحثات اللبنانيات

منسق الكتاب: دلال البزري

المستشارون : عزة شرارة بيضون

منى خلف

أنيسة الأمين

المراسلات: باحثات ـ بيروت: ص.ب: ٥٣٧٥ ـ ١٣

التوزيع: دار الرازي. ص.ب: ١٣٥١٢٧ ـ بيروت ـ لبنان

□ تصميم شعار التجمع: ريّا أميوني
□ تصميم الغلاف: يوسف حمّو

المقدمة

دلال البزري

من أين **نبدأ**؟

ـ من العالم بأسره، أم العالمين العربي ـ الإسلامي، أم لبنان؟

من المحيط الواسع، الذي يصنع الإطار العام، أم الأضيق، أو الأضيق قليلاً، حيث الخاص ثم الأخص من السمات؟

ـ من التاريخ القريب أم تجلياته اللاحقة؟

من المحطة الأخيرة لبلوغ النسوية أوجها النظري ـ النضالي، ثم خفوتها وكل ما مهّد لهذا الخفوت أو تسبّب به؟ أم الوصف المفصّل لمشهد ما بعد النسوية، الذي يضجّ بتناقضات ومفارقات ترتبك أمامها المفاهيم (أو النظريات) المتداولة، منفردة كانت أم متضافرة؟

ـ من التفسير أم التقييم؟

من محاولة فهم ما يحصل في هذا المشهد بقلب بارد وعيون بعيدة، أم رفضه، بل أحياناً إدانته، بغضب من هو (أو هي) معني بتبعاته؟

.... لائحة الحيرة لا تنتهي زواياها ولا موضوعاتها: فهي لا تطال «منهج» المقاربة فحسب، ولا القدرة على تلبيته... فهذه لوحدها جديرة بتعبئة طاقات بحثية ذات مدى، قد يؤتى بها وقد لا يؤتى. بل الحيرة أساسها أيضاً وقبيلها سؤال يمتطي آخر:

ماذا نريد؟ ولماذا نريد ما نريد؟

في هذه المقدمة، إن أجبنا عن هذين السؤالين وتوخينا تأجيل ما سبقهما، فسوف نصل إلى خاتمتها؛ حتى لو بقي السؤالان مشرّعان على نفي أحقيتهما على غيرهما من الأسئلة أصلاً... وحتى لو كانت إجابتنا عليهما قد أتت:

- بمن ينقضها

- أو بمن يبلورها

- أو من يضيف عليها المزيد إلخ.

إذ أن **المطلوب** أن تكون الآراء الواردة في «باحثات» لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر تجمع الباحثات اللبنانيات: وهذه الصيغة تلحظها عادة الصفحة الأولى أو الثانية لغالبية الدوريات أو المجلات العربية البحثية أو شبه البحثية... والأرجح أنها تعكس إمتعاضاً ضمنياً من أن يكون المشارك في حالة من الابتعاد، ولو الجزئي، عن «أهداف المركز»... أو أنها تعبّر عن تنصّل «المركز» من مسؤوليات إختلاف الرأي وتبعاته المهنية أو السياسية أو التمويلية.

أما مجلتنا، فهي عاكسة لتجمع الباحثات اللبنانيات: تَلْتمس **الإختلاف** في الرأي، ترحّب به، تقول إن مساكنته هي سليلة الحرية...

* * *

لنعد الان إلى السؤالين، وسوف نحاول البدء بالإجابة عن ثانيهما، أي: لماذا نريد ما نريد؟

لأن ما يتراءى إلى **النظر المباشر** عن أحوال النساء في لبنان يحتاج إلى من يبوح عنه، وإلاّ بقي مشرّعاً على **الاستمرار**... ويُستخلص من عموم هذه الأحوال بأن المرأة اللبنانية، إن رغبت ببعض النجاح وتحاشي العزلة، عليها أن تذعن: وذلك مهما بَسُطت حاجاتها أو عظمت، مهما كان موقعها أو طبيعة اهتمامها، ومهما ضاق مجالها أو اتّسع.

... ثم عليها أن تعلم بفطْنتها الغريزية غير المُصاغة ولا المنظَّرة كلاماً أو مفاهيم: ان القناة الموصلة إلى ما ترغب، هي قناة سلطة متنوّعة العبارات، متباينة الأوجه، متعدّدة المستويات... ولكنها تصبّ في حسابات زعماء الطوائف - المذاهب ولا تستطيع عبورها إلاّ بإذعان: إذعان يرتدي أحياناً قناع **التمرّد!**

ماذا نريد؟

نريد مكاشفة الإذعان الحقيقي وما **يمتشقه** من تمرّد مزيّف. أما وسيلتنا، فلا هي جاهزة ولا هي تفصيلية: بل إن معالمها نراها آتية في دروب عملية المكاشفة الطويل. ثم نحن لا نعرف بالضبط ما يستره محيطنا، ونحدس بأن ما نجهله أعظم مما نعلمه: فكيف لنا بالقول الشمولي، الناجز، المنتصر بحقيقته على غيره؟

من هنا، فإن ما نريده، أيضاً، هو العمل من أجل تشجيع وتطوير ملكة الرغبة **بالاستكشاف**:

أما كيف نرى إتمام ذلك؟ هنا، مرة أخرى، لا إجابة شمولية، ولكن بعض المبادىء العامة التي اسرعنا إلى اعتمادها منذ تكوّننا الأول، وأهمها:

- تمكين النساء الباحثات من العزّة والكرامة المهنيتين: وذلك بدعوتهن إلى مشاركتنا في أنشطتنا البحثية والحوارية... دعوة **شراكة** حقيقية لا دعوة إلتحاق.

- التمكّن من درجة معقولة من الحسّ النقدي الفعلي إزاء أي عمل بحثي أو فكري: وذلك بالاهتمام بالجودة العلمية للبحث، دون المغالات في العلموية.

- الإصرار على التنوّع: ليس فقط في الرأي، بل في الاختصاصات وطرق التناول والكتابة وجنس المشاركين (رجال/ نساء) والأجيال، والجامعات لما تحمله هذه كلها من مرجعيات ثقافية - فكرية مختلفة.

أما عن أولوياتنا المعرفية، فتأتي في رأسها مقارعة **البديهيات**، حتى المكرّسة على أنها علمية. ويندرج تحت هذا العنوان:

- الأبحاث الميدانية التي لا نشعر بثقل غيابها إلاّ عندما نشرع إلى كتابة ورقة جدية... كي لا نقول بحثاً فعلياً.

- إعادة تعريف المفاهيم وملحقاتها، وحتى النظريات أو شقاً منها: ذلك ان الابتذال أصاب الاثنين نظراً للإفتقار إلى التراكم المعرفي المتتابع.

- أخيراً، عدم استبعاد التنظير: فهو جهد تجريدي غاية في المنفعة. ولكن ممارسته بحذر الباحث وتواضعه صار ضرورياً، بعدما أُخذ على حين غرّة... فشابه ما شابَ الأنشطة الذهنية الأخرى من نسخ وتزوير.

* * *

هل أصبنا مرمانا في هذا العدد الأول من «**باحثات**»؟

لا بالتأكيد: ليس فقط بسبب المئة سبب وسبب العملية التي حالت دون هذا المرمى... ولكن أيضاً وأيضاً لما من هامش دائم بين ما نتوق إليه وما نحقق.

ولعلّ العدد القادم من «**باحثات**» سوف يضيّق الهامش... دون بلوغ المرمى... وإلاّ فسوف نكون أمام خيارين:

- إما إطمئنان ورضى، لصيق بمن «وصلوا»... فلم يتابعوا إلاّ رفعاً للعتب.

- وإما تعظيم المرمى... لكي تبقى **الوثبة** متوتّرة بتوتّر حب المعرفة نفسه.

ولن نخفي الكثير إن كشفنا عن تفضيلنا للخيار الثاني: وهو طموح توفّرت مقوماته المادية

بالدعم الذي لقيناه من مؤسسة فورد الأميركية. أما مقوماته البشرية فتجدها في **هيئة التحرير** التي أعدّت لمواد «باحثات» وتابعت شجونها: حملت همّ «باحثات» إلى أحلامها، فلم تكلّ... حتى بعد صدورها...